وكان للمذكور فرسٌ اهداهُ لهُ البتار حسن المنظر هائل الخبر ضخم القدّ قيل انَّ دَوْر حافرهِ كان يبلغ ثلثة اشبار وانَّهُ سبق خيولًا كثيرة

وعند عود الملك المظفَّر قُطز الى مصر قُتل وتسلطن بعدهُ الملك الظاهر بيبرس وذلك في السابع عشر من ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) وبقي في السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام واستناب جمال الدين آقوش النجيبيّ الصالحيّ (١ على الشام سنة ستين وستمائة (١٢٦٢ م) واستمرَّ في النيابة الى شهر ربيع الاوّل سنة (٦٧٠) سبعين وستمائة (١٢٧٢ م) ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستادار (٢

وفي أيام الظاهر بيبرس سُجن زين الدين بن عليّ المذكور وجمال الدين حجي بن محمَّد واخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبلُ)

٩

ولمَّا بلغوا اثينة وجد البارون غلافًا وردهُ بالبريد ففضَّهُ واذا فيهِ محرَّرات من وزارة الخارجية ولمَّا قرأهُ بُهت منذهلًا اذ علم ان دولتهُ تاوية ان تنصبهُ سفيرًا مرخَّصًا لدى حكومة بخارست

على انَّهُ لم يتردَّد في امرهِ بل بادر فحال للاستقالة من هذا المنصب فرفع لحكومتهِ مفترَض الشكر والثقة لما لها من الثقة بهِ وصرَّح لها بما عزم عليهِ من الانقطاع عن الخطَّة السياسيَّة ومناصبها. اجل انَّهُ عزم من الآن فصاعدًا على الانضمام الى اسرة ب . الكريمة مشاطرًا اياها حظَّها من الحياة وذلك لانَّ هذه الاسرة قد فتحت لهُ صدرها شأن الامّ نحو ولدها بل عاملتهُ معاملة ابنٍ لها بالذات . ولذلك عقد النيَّة على الرجوع الى مدينة

---

١) هو الامير آقوش المار ذكرهُ (ص ٢٧٥)

٢) كان احد الامراء الكبار في مصر على عهد بني ايوب ولمَّا تولى الملك نجم الدين أيُّوب قبض عليهِ واحتاط على موجودهِ . ثم اعتقهُ الظاهر بيبرس وولَّاه نيابة الشام وكان الظاهر من جملة مماليكهِ سابقًا . لا نعلم سنة وفاتهِ

بيروت قصد ان يقضي فيها حياة منفردة مردّدًا في ذهنهِ ما تخطرهُ تلك المدينة على بالهِ من التذكُّرات

ولمَّا علمت اسرة ب. ما كان طرأ على شرل من المواجس وما شغل قلبهُ من الشواغل التي جعلتهُ ان يأبى المناصب الجليلة لينضمّ اليها مدى الحياة تأثرت لحسن رداده هذا وزاد انعطافها اليهِ فصارت منزلتهُ عندها منزلة الروح من الجسد

وقد علمتَ مما مرَّ بك ذكرهُ ان هذه الأسرة كانت قد احبَّت شرل محبَّة الآباء لابنائهم لما كان متَّصفًا بهِ من المحامد الفريدة. امَّا الآن فقد تعزّزت هذه المحبَّة بما يمازجها من الرجاء بمصاهرتهِ بل اصبح التفصل وزوجته يعلّقان على هذه المصاهرة خير اسرتهما ورغدهما وحسن حالهما في مستقبل الحين

امَّا سوسنَّة فان حبها لشرل كان يزداد وينمو يوماً فيوماً بل امتزج الحبّ بنوع من التجلّة والتكرمة لذاك الشاب البالغ في نظرها مبلغًا ساميًا من الكمال. بل كانت تشعر انها هي ذاتها ترقى معارج الصلاح والكمال بمماسَّة نفسها نفسَ شرل تلك النفس الكريمة الشريفة الغنية بالفضائل السامية فنشأ في قلب سوسنَّة من جرَّاء ذلك مطمع جديد ألا وهو ان لا تكون دونهُ فضلًا وكمالًا

امَّا البارون فكان يستغرق اوقاتهُ مهتمًّا في الآثار القديمة وما يتعلَّق بها من المباحث. على انهُ لمَّا كان يرى ملازمة سوسنة لهُ بلطافة ووداعة وتأدّب اخذ وريدًا وريدًا يعتاد النظر اليها كنظرهِ الى ملاك يقطر من يديهِ ندى التعزية والرجاء. بل اتَّصل بهِ الامر الى ان يرى فيها صورةً حيَّة لخطيبتهِ وردة التي كان شحوب لونها يرافق تمام الموافقة ما في نفسهِ من حاسَّات الكآبة والحزن. فكان من ثمَّ ينظر اليها عن رضًى ويصغي بارتياح جملة ساعات الى كلامها بحيث انهُ عند ما كان يتردَّد البارون عن قبول ما تعرضهُ الاسرة والاصدقاء من حضور حفلة انشراح او الذهاب الى النزهة كانت تتوسَّط سوسنة بالامر وكان النجاح دائمًا نتيجة وساطتها. لان شرل لم يكن ليأبى عليها اجابة طلب

ومجمل القول ان ذلك الاب الشهم بعد ان قضى مع أسرتهِ زهاء اربعة اشهر في عاصمة البلاد اليونانية ترويحًا للنفس عوَّل على الاياب وكان قد تزل في قلبهِ وقلب زوجتهِ شيء من التعزية والسلوّ بل قد لمعت في عينهِ بارقة الآمال اذ رأى شرل وسوسنَّة متكاتفين لدى ركوبهما السفينة الماخرة عباب البحر ذهابًا الى بيروت

١٠

وكان سفرهم شهر حزيران على الباخرة « الزُّهرة » التي تأخر موعد وصولها الى بيروت نحو نصف نهار شأن جميع سفن شركة اللويد النمساوية. على ان البحر لم يكن هائجًا ثائرًا لا تكاد ترى على بساطه الازرق غير جعودات يعقدها النسيم. لكنَّ ضباط سفن شركة اللويد النمسوية يُضرب المثل بحكمتهم وتحذرهم من الاخطار ولذلك كانت السفينة « الزهرة » تسير الهوينا مجتازة جزائر الارخبيل في اليونان قاطعةً على رسلها الروس والخلجان الواقعة عند سواحل ازمير وقرمانية وسوريَّة. ولمَّا انتهت الى بيروت دخلت مرفأها بعظمة ومهابة. وكان في ساريها الكبير راية تخفق مشيرةً الى ان في الباخرة قنصلًا او احد منصَّبي السياسة

وقد بلغت الباخرة بيروت عند الهاجرة وكان القيظ مستعرًا والهواء حارًّا ساكنًا على انَّهُ كان يتخلل ذلك السكون نفحات تهبُّ من مخانق لبنان ولكنها ما كانت لتصل بيروت الَّا والحرارة الشديدة قد دبَّت فيها بحيث كان يخيَّل للناس انَّهم يستنشقون لهبًا لا هواء. وكانت السماء صافية يمازج زرقتها هبوات القيظ حتى كأن الجوّ يستعر استعارًا ويشعُّ نارًا

وكان ميزان الحرارة قد بلغ الدرجة السادسة والثلاثين في الظلّ وكان منذ الصباح آخذًا في الارتفاع دالاً على كون ذلك النهار ذا حرارة نادرة المثل من شأنها ان تقتل الانسان اختناقًا

وكان ماء البحر سخنًا جامدًا كأنَّهُ صفيحة مرآة من الفولاذ الصقيل تنعكس فيه اشعَّة الشمس المحرقة كأنها سهام من نار اذا نفذت في العين ادركها العمى. اجل ان بيروت بقعة سورية الخضراء كانت في ذلك النهار فريسة للقيظ الشديد الذي اشتدَّت وطأتهُ عليها حتى لم يبق لها الَّا أن ترتمي هزيلة جميلة على الرمل المحرق المحيط بها

وكان القوَّاسون قد اقبلوا على الشاطئ منذ شروق الشمس بملابسهم الرسمية المزركشة بالذهب يتقدَّمون مأموري القنصلية وعددًا كبيرًا من الاصدقاء وجميعهم ينتظرون بذاهب الصبر قدوم المسيو ب.

اما السفينة « الزُّهرة » فانها القت مرساتها على مهلٍ وبعد ان تمت المعاملات الرسمية اللازمة دنت القوارب من السفينة وتعلقت بها. وعندئذٍ تصافح الاحباب والاصدقاء وتبادلت التهانئ بينهم. وكان وجه القنصل العام يتدفَّق بشرًا ويقطر لطفًا وهشاشةً والبارون

نفسهُ مع ما يتنازع قلبهُ من الهواجس لم يتمالك عن الابتسام والبشاشة . وبعد هنيهة من الزمن انطلقوا جميعهم قاصدين دار القنصلية

وكانت الامّ لما آتاها الله من بُعد الرأي وحسن التدبير سبقت الجميع الى الدار لاتخاذ التحوّطات اللازمة التي أتفق على اجرائها تحويلًا للمشاهد التي من شأنها اثارة الشجن . وكان اوّل ما طلب البارون عند صعودهِ درج الدار القنصلية ان يزور غرفة وردة وكان ابقى مفتاحها معهُ . فاجابهُ الجميع الى طلبهِ برقّة ولطف واقبل عليهِ المسيو ب . وخاصرهُ بحنان ابويّ مرافقًا اياهُ في هذه الزيارة المحزنة

ولما رأى شرل الباب مقفلًا شكر لمضيفهِ انصياعهُ الى ما كان قد رغب فيهِ . وقال في ذاتهِ : «انّ مقدسي لم يدنّسهُ احدٌ أثناء غيابي وبناء على ذلك سأجد فيهِ البقايا المكرّمة والآثار المحبوبة لديّ على ما تركتُها من الحال لدى تأمّلي اياها المرّة الاخيرة »

وبينا كان يتكلّم هكذا اختلجت شفتاهُ وامتقعتا وابتسم ابتساماً خالطهُ الحزن والكآبة ثمّ اندفقت الدموع من عينيهِ فكانت لها حجابًا شفّافًا . ثم فُتح الباب فما كاد البارون يرمي الى الغرفة بالنظر حتى ارتدّ الى الوراء مبهوتًا مذعورًا لانهُ لم يرَ ما كان تركهُ في تلك الغرفة من عدم الترتيب وقلّة الانتظام كما كان يوم توارت وردة

فلدى هذا المشهد تنهّد البارون شديدًا وأنّ أنينًا يد انّ رفيقهُ أسمعهُ من عذب الكلام ما سكّن منهُ جأشهُ وانشأ في نفسه شيئًا من الانتعاش

ثم شرع نظر البارون يجول في الغرفة متفقّدًا آثارها فوجد كلّ شيء على ما يُرام من الانتظام والانتساق فدلّهُ ذلك الترتيب على ان يد امرأة حسنة الذوق بارعة اللطف قد تداخلت في الامر فألبست تلك الغرفة من الرونق ثوبًا بهيًّا بحيث ان كلّ ما فيها اضحى نظيفًا رائقًا يلمع بضوء شعاع الشمس

فجعل البارون يبحث عبثًا عن الخفّين الحمراوين والقفّازات (الكفوف) المجعدة . ولكنّهُ لما لم يجد هذه الاشياء استولى على قلبهِ الحزنُ واليأس فرمى بنفسهِ وقد أعياهُ التأثر والكآبة على مقعدٍ في تلك الغرفة وهو منقبض الصدر تخنقهُ الحسرات . . . واذا بهِ للحال سمع من قصاء الغرفة حفيفًا خفيفًا ثم ارتفعت السجوف بلطافة وبدت سوسنّة منجلية متوشّحة بملابس شقيقتها الزهراء وفي قدميها خفّاها الاحمران . فكانت على تلك الحال اشبه بشقيقتها من الماء بالماء حتى خُيّل للبارون انهُ يرى خطيبتهُ عينها . . . فصاح متلهفًا : وردة . . . ثم تقدّم

مسرعاً اليها باذةٍ والقى بنفسهِ فاقد الرشد بين ذراعي سوسنة وهو لا يستطيع ان ينطق ببنت شفة بعد تلفظهِ باسم وردة

والحال بادر اليهِ مضيفوهُ يحسنون القيام عليهِ بانعطاف يمازجهُ الخوف وقد بذلوا كلَّ ما في الوسع لتسكين جأشهِ وارجاعهِ الى نفسهِ

١١

لمَّا كان مساء بعض ايَّام الخريف كنتَ ترى الشمس عند أفولها ترمي باشعَّتها الاخيرة على بيروت وتكسو قمم لبنان بحلل بهيَّة تخالها من لون الورد والارجوان. وكان في المرفأ عدَّة سفن من كبار البواخر تهتزُّ اعطافها لحركة مياه البحر تثيرها الريح الشماليـة. فمن كان يسرِّح نظرهُ في تلك مشاهد الطبيعة وجد نفسهُ تائقةً الى التَّخلي من هموم الحياة مجذوبةً الى الهذيذ في الخالق واعتبار المخلوقات

وكان على باب المسيو ب. عربتان ركب احداهما القنصل الجنرال وزوجتهُ المتردِّية بملابس الحداد مع خادم وجارية. امَّا الاخرى فاصعدوا فيها رجلًا كهلًا فاقد الرشد ممسوس العقل جلس على جانبيهِ لمناظرتهِ طبيبٌ وفتـاةٌ يحجبُ اصفرارَها برقعٌ اسود. والمصاب ببصيرتهِ كان البارون دي لينس نفسهُ وامَّا الفتاة فكانت سوسنة ابنة القنصل ب.

وذلك انَّ شرل كان لدى نظرهِ لسوسنة وهي مشَّحةٌ بثياب خطيبتهِ وردة أُصيب بدهش وحيرة عملا في عقلهِ فخُبل. ولمَّا بقيت كل الوسائط المتَّخذة في بيروت لعلاجهِ غير ناجعةٍ مدَّة شهرين وطَّد القنصل عزمهُ على نقلهِ الى ڤينة ليعالجـهُ هناك بعض نطاسيِّ الاطبَّاء النمسويين (ستأتي البقية)

شذرات

كيف تمنع الماء والرطوبة ان ينفذا الاحذية

يؤخذ لذلك الجلدُ في حالة يبوستهِ فيُحمى قليلًا ثم يُطلى بزيج يتركَّب من ٥٠ قسماً من شحم الغنم و٤٩ قسماً من زيت الكتَّان ومن قسم واحدٍ من الترنطين بعد تذويب المزيج